الشركة في جسد المسيح ودمه

الأب أيوب شهوان

"يا أحبّائي، أهربوا من عبادة الأوثان. أقول كما يُقال لحكماء:
كأس البركة التي نبارك، أوليست اشتراكًا في دم المسيح؟
الخبز الذي نكسر، أوليس اشتراكًا في جسد المسيح؟
بما أن الخبز واحد، فنحن الكثيرون جسد واحد،
لأنّنا جميعًا نشترك في الخبز الواحد"[1]
(١ كو ١٠: ١٤-١٥، ١٦-١٧)

مقدّمة

يشكّل موضوع الشركة في جسد المسيح ودمه نقطة محورية في مبادىء المؤمن وفي سلوكه العمليّ، بالتالي في خياراته ومواقفه، فلا شِرْكَ لديه بل شركة، ولا مسايرة بل حَزْم، ولا "مَعْلَيْشِيَّةَ" بل التزام وجدّيّة، لا لأسباب بشريّة أو لمصلحة ماديّة، بل لإيمان بالربّ وأمانة له. هذا ما انفكّ بولس يدعو إليه بشكل قاطع بكلمته التي كسيف ذي حدَّين. انطلق من وضع معيّن في كورنتس، حيث استمرّ فريق من المؤمنين من أهل تلك المدينة يشاركون في ولائم تُقام في ظل المعابد الوثنيّة، بدلاً من أن ينقطعوا عن ذلك، انسجامًا مع الواقع الإيمانيّ الجديد. الانتقال من الوثنيّة إلى المسيحيّة أضحى واجبًا لا يُتِمُّه إلا المُحِبُّون الشجعان والأسخياء، كالانتقال من السير تحت لواء موسى إلى إسلاس القياد للمسيح، الذي أوصى به بولس لا بل أمر به.

في كلّ هذا، الإفخارستيّا هي العامل الأساسيّ، والمقياس الساطع. لذلك اخترنا أن نعالج الآيتين ١٦-١٧ من ١ كو، اللتين تنجحان، بالرغم من إيجازهما، في أن تُوحِيَا، وبكلماتٍ قليلةٍ، بكلِّ عمقِ **السرّ الإفخارستيّ**، حتّى ولو كان إطار النص لا يسمح بِتَبَيُّنِ غنًى عقائديٍّ بهذه الأهمّيّة.

---

[1] أنظر رو ١٢: ٥؛ ١ كو ١٢: ١٢، ٢٧؛ كول ٣: ١٥؛ أف ١: ٢٣؛ ٤: ٤، ٢٥؛ ٥: ٣٠.

اختبارُ الكورنثيّين الإفخارستيّ، أي **اشتراكُ أفرادِ تلك الجماعة في جسد المسيح ودمه**، هي نقطة انطلاق بولس في كلامه. بالطبع، لسنا أمام تعليم متكامل وشامل حول الإفخارستيّا، بل أمام **همٍّ كنسيٍّ** مركَّزٍ على **الشركة** وعلى **البُعْد الجماعيّ**.

١ – "كأس البركة التي نبارك"

لماذا هذه العبارة، "كأس البركة"؟ بدايةً، هي "تعبيرٌ تِقَنيّ للكأس التي كان ربّ العائلة يتلو عليها صلاة البركة والشكر لله في رتبة العشاء الفصحيّ، عند اليهود"[٢]. ونضيف: "هي الكأس الطقسيّة الثالثة التي يتمّ تناولها في وليمة الفصح، والتي عليها يُتلَى فعل الشكران، وكانت تُدعَى "كأس البركة"[٣].

في الطقس اليهوديّ، وقبل تناول الكأس، كانت تتلى عليها بركة. لم يعُد المسيحيّون مُلزمين بالمتطلبات الطقسيّة اليهوديّة. لذلك، المقصود هنا، بالطبع، هي الإفخارستيّا. ولكن لماذا تسمية الإفخارستيّا "كأس البركة" ؟ وماذا تعني هذه البركة التي يُعبّر عنها بعبارة "التي نبارك"؟ استنادًا إلى تفسير تقليديّ قديم جدًّا، كان بولس يريد أن يقول: "الكأس التي عليها نلفظ كلمات التقديس"؛ يعني ضمير المتكلّم الجمع، "نحن"، "الكهنةَ"، أو "المسيحيّين، عبر خدمة الكهنة". أمّا عبارة "التي نبارك"، فتعني "فعل البركة والشكر الذي قام به يسوع في عشائه الأخير مع تلاميذه (مر ١٤: ٢٣)، ولا تزال الكنيسة تقوم به، تلبيةً لأمر يسوع نفسه (لو ٢٢: ١٩؛ ١ كو ١١: ٢٥)"[٤].

التفسير الأكثر قبولاً هو ذاك الذي توحي به المقاربة مع الفصل التاسع من الدِيداخيه، التي فيها تُدعى الرتبة الإفخارستيّة "فعل شكران" أو "بركة". في النصّ صيغةُ بركةٍ للكأس، هي التالية: "في ما يتعلّق بالإفخارستيّا، أشكروا هكذا: أوّلاً، بالنسبة إلى الكأس: نشكرك، يا أبانا، لأجل كرمة داود عبدك المقدّسة؛ لقد عرّفتنا إليها بيسوع عبدك. لك المجد إلى دهر الدهور".

بدون شك، لا تقول الدِيداخيه صراحة بأنّ فعل الشكران هذا هو العشاء، لكن المقاربة مع نصّ ١ كو ١٠: ١٦ يعطي ضوءًا هامًّا حول الأمر، وتسمح بالاعتقاد بأنّه، هنا وهناك، المقصود هو العشاء الأخير. عندما يتكلّم بولس على "كأس البركة"، عليه أن يعود إلى رتبة إفخارستيّة شبيهة جدًا بما في الدِيداخيه، وقيد الاستعمال لدى الكورنثيّين. تدلّ هذه الرتبة أيضًا على الخمرة الإفخارستيّة بالتسمية

---

[2] **الكتاب المقدّس، العهد الجديد، إونجليون** (كلّيّة اللاهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس، الكسليك، ١٩٩٢) تعليق على آ ١٦، ص ٧٥٧.

[3] *The Jerome Biblical Commentary* (Prentice – Hall: NJ 1968) 269.

[4] **إونجليون**، تعليق على آ ١٦، ص ٧٥٧.

اليهوديّة القديمة، أي "كأس البركة"، لأنّ الاحتفال بالإفخارستيّا كان بتمّ، مع قول البركة، ومن الطقوس اليهوديّة القديمة، حتّى ولو لم يَعُد المقصود طقسًا يهوديًّا، بل طقس حوله يسوع بالعمق.

في التقليد البيبليّ، "الكأس"[5] هي رمز الخلاص (أنظر مز ١٦: ٥؛ ٢٣: ٥؛ ١١٦: ١٣)، أحيانًا على نقيض الكأس التي هي رمز الغضب الإلهيّ (أنظر مز ١١: ٦؛ ٧٥: ٨). يعرف التقليد اليهوديّ عبارة "كأس بركتك"[6]. فـ"كأس البركة" لم تكن وببساطة طقسًا فصحيًّا، ولا عادةً محفوظة لاحتفال. كانت "كأس البركة" تُشرَب كما يُشرَب الخمر في الوليمة غالبًا. يذكر **تلمود أورشليم** أنّه، بعد وليمة مشتركة، "أخذ رابي يعقوب الكأس وتلا البركة"[7].

قد يظنّ القارىء أنّ ما يكتبه بولس حول "الكأس" هو تكرار؛ فهو يذكر مرّتَين "البركة"، "كأس البركة التي نبارك". لكنّ هذا لا يعني أنّ هناك طقسَين للبركة، بل أنّ الكأس تُبارَك مرّتَين: الأولى من الله، والثانية من الجماعة المحتفِلة. تُشبه الكأسُ الإفخارستيّة، التي تُقَدِّمها الجماعةُ الكورنثيّةُ إلى الله، كأسَ الخلاص التي يقدّمها مَن يدعو اسم الربّ (رج مز ١١٦: ١٣). الكأس الإفخارستيّة (١ كو ١٠: ١٦ب)، والتي هي تَذَكُّرُ الكأسِ التي شربها يسوع[8]، هي كأسٌ بها يختبر الكورنثيّون بركةَ الله.

يُشيرُ الرسول إلى الطقس الإفخارستيّ، فيتكلّم على **"كأس البركة"**، وعلى **"الخبز الذي يُكسَر"** (١ كو ١٠: ١٦). يظهر هذا الثنائي "كأس–خبز"، المختلف عن الثنائيّ "خبز–كأس" في ١ كو ١١: ٢٣–٢٦، في وثيقة أخرى ترقى إلى القرون المسيحيّة الأولى، هي **تعليم الرسل الاثني عشر**، التي، في لغتها ومواضيعها، تشبه اللغة والمواضيع التي يستعملها بولس في ١ كو ١٠: ١٤–٢٢. كذلك تورد **الدِيداخيه** (٩: ٢–٤) الثنائيّ "كأس–خبز"، وتسلّط الضوء على مواضيع "البركة"، و"كسر الخبز"، و"وحدة الجماعة".

٢ – الخبز الذي نكسر

---

[5] لدى بولس فقط في ١ كو ١٠: ١٤–٢٢؛ ١١: ٢٣–٢٦.

[6] ("كُوس شَلْ بِرِخَهْ")، التي تعني بركة الله. أنظر "صلاة يوسف" حيث يَرِد ذكر "كأس البركة" (**يوسف وأَسِـنِتْ** ٨: ٩؛ رج ١٩: ١٥).

التلمود الأورشليميّ، بِراخُوت ٧: ٣.

[8] ١ كو ١١: ٢٥–٢٦؛ رج مت ٢٦: ٢٧؛ مر ١٤: ٢٣؛ لو ٢٢: ٢٧، ٢٠.

كان المسيحيّون الأوائل يدعون الإفخارستيّا "كسر الخبز"، وكان العشاء الأخير يُدعَى تقليديًا "كسر الخبز"[٩]. ترتبط فكرةُ الوحدة طبيعيًا بهذه الفكرة: الخبزُ الذي يُكسَر يبقى واحدًا. تدعم الليتورجيّا القديمة، التي حفظتها الدِيداخيه[١٠]، الرمزيةَ من خلال لجوئها إلى أُلّيغوريَا قديمة جدًّا مبنيّة على تكثير الخبز[١١]؛ نذكّر أنَّ هناك التقاءً أدبيًّا في الأناجيل الإزائية بين روايات "العشاء الأخير" وبين "تكثير الخبز". جاء في الدِيداخيه ما يلي: "كما كان هذا الخبز المكسور منتشرًا فوق الجبال، وجُمِعَ فصار واحدًا، هكذا فلتُجمَع كنيستك من أقاصي الأرض في ملكوتك" (دِيداخيه، ٩: ٤)[١٢].

يبدو أن الاستعانة بالدِيداخيه تفرض نفسها، خاصة وأنّها (والاستعانة) تفسّر واقعَين آخرَين. أوّلاً، يقدّم بولس الكأس، في مرحلة أولى، ومن ثمّ الخبز، عاكسًا هكذا الترتيب الوارد في رواية تأسيس الإفخارستيّا؛ نجد ذات الترتيب في الدِيداخيه. ثانيًا، تستعمل الدِيداخيه التعبير، "الخبز المكسور"، وكذلك يفعل بولس أيضًا: "الخبز الذي نكسر[١٣]، أوليس اشتراكًا في جسد المسيح ؟" (١ كو ١٠: ١٦ ب).

لا تحتوي الصيغتان "كأس البركة"، و"الخبز الذي نكسر"، إذًا، أيَّ سرّ (mystère). ينبغي أن نرى فيهما طريقة قديمة وليتورجيّة للدلالة على الإفخارستيّا. لماذا لم يُقَل وببساطة "وليمة عشاء الربّ"، كما في ١ كو ١١: ٢٠: "إذًا، فحين تجتمعون، لستم عشاء الربّ تأكلون"؛ على الأرجح، لسببين: تسمح كلمة "كأس" بالمقارنة مع كأس الذبائح الوثنيّة (١٠: ٢٠)[١٤]، "والخبز الذي يكسر" يُدخِل صورة يُستفاد منها في ١ كو ١٠: ١٧.

٣ – الوحدة

في ما يتعلّق بـــ"الخبز الواحد" (١ كو ١٠: ١٧)، يشير بولس إلى طقس "كسر الخبز" (١ كو ١٠: ١٦). يستعمل التقليدُ المسيحيّ الأقدم عبارة "كسر الخبز" ليصف الاحتفال الإفخارستيّ وليشير إليه[١٥]. في

أع ٢: ٤٢؛ مر ١٤: ٢٢؛ لو ٢٤: ٣٥؛ ١ كو ١٠: ١٦. رج بولس الفغالي، "كسر الخبز ومدلولاته"، **المجلة الكهنوتيّة** ٢ (٢٠٠٠) ٥-١٥.

[10] Jean-Paul AUDET, *La Didachè : Institution des Apôtres* (EtB; Paris : Gabalda, 1958) 372-433, spéc. 398-410.

[11] رج يوسف فخري، "تكثير الخبز والسمك في إنجيل مرقس"، **المجلة الكهنوتيّة** ٢ (٢٠٠٠) ١٧-٢٩.

[12] رج **ديداخيه** ١٠: ٥: "إجمعهم من رياح السماء الأربع"، وقارنها مع الصلوات اليهوديّة **شِمُونِ عِسْرِ** ١٠، و**هَبِينُو**: "إجمع المشتّتين من رياح السماء الأربع". مكان الجَمْعِ في **الديداخيه** هو السماء، ملكوت الله. أنظر إغناطيوس الأنطاكي، **الرسالة إلى الأفسسيّين** ٢٠: ٢.

[13] يستعملها بولس فقط للكلام على الإفخارستيّا؛ رج ١١: ٢٤.

[14] "لا يمكنكم أن تشربوا كأس الربّ وكأس الشياطين".

[15] لو ٢٤: ٣٥؛ أع ٢: ٤٢؛ **ديداخيه** ١٤: ١؛ إغناطيوس الأنطاكي، **الرسالة إلى الأفسسيّين** ٢٠: ٢.

بداية الوليمة اليهوديّة كان هناك طقس كسر الخبز؛ يتلو ربُّ البيت بركةً كالتالية: "مبارك، أنت أيّها الربّ إلهنا، ملك العالم، الذي تخرج خبزًا من الأرض". بعد البركة، يكسر ربُّ البيت الخبزَ، ويوزّعه على الجالسين إلى المائدة. احتفظ التقليد المسيحيّ المتعلّق بالإفخارستيّا بذات الطقس تقريبًا.

تشكّل الموازاة بين الكأس وبين الخبز، التي يدرجها بولس في ١ كو ١٠: ١٦، وسيلة ليوصل فكرته، وليؤكّد ما يلي: "بما أنّ الخبز واحد، فنحن الكثيرون جسد واحد، لأنّنا جميعًا نشترك في الخبز الواحد" (آ ١٧). هو يرمي إلى أن يبرز التعارض بين "الواحد" وبين "الكثيرين"، كي يدعو إلى وحدة الجماعة (رج ١ كو ١٢: ١٢-٢٦)، مشدِّداً وملحًّا على نبذ الصنميّة كخطوة ضرورية لبلوغ الهدف السامي.

يستخلص بولس عبرة من الاختبار الإفخارستيّ لدى الكورنثيّين الذين دعاهم من خلال أسئلة بلاغيّة متوازية مع آ ١٦ إلى وقفة واختيار. يوفّر تكرار كلمة "واحد"، ليس فقط تركيزًا عليها، بل أيضًا تعارضًا مع كلمة "كثيرين" ومع كلمة "كلّ". إنّ تشديد بولس القويّ على وحدة الجماعة هو لفت انتباه هذه الأخيرة إلى مَن يحتقرون فيها "الضعيف". يستعيد بولس موضوع الجسد الواحد وأعضاءه الكثيرة في ١٢:١٢-٢٦ (رج ١٢: ١٢؛ رو ١٢: ٥).

بولس أيضًا، في ١ كو ١٠: ١٤-٢٢، يربط بالعشاء الأخير فكرةَ **الوحدة**؛ فهو يهاجم الميولَ إلى **النزعة الصنمية** التي كانت ما زالت قائمة لدي الكورنثيّين، ويوضح أنّها لا تتوافق مع مضمون العشاء الإفخارستيّ الذي بوحّد بالمسيح، كما توحّد الذبائحُ الوثنية بالشياطين: يجب الخيار بين واحدة من "الشَركتَين"!

"الخبز الذي نكسر، أوليس اشتراكًا في جسد المسيح؟" هنا يُدخل بولس موضوع "**الوحدة**": "ولأنّه لا يوجد سوى خبز واحد، فنحن الكثيرون جسد واحد، لأنّنا جميعًا نشترك في الخبز الواحد" (١ كو ١٠: ١٧)؛ هكذا فكرة الوحدة هي مرتبطة بالخبز الذي يُكسَر؛ فالوحدة بين المؤمنين هي نتيجة حتمية للاشتراك في تناول الجسد المقدّس.

٤ – الإفخارستيّا شركة (١ كو ١٠: ١٦)

في الآيتَين اللتين نعالج في موضوعنا، يستعمل بولس لقب "المسيح" الكريستولوجيّ، الذي يشير به إلى موت الربّ. في بداية الرسالة، يذكّر الرسولُ المسيحيّين الكورنثيّين بأنّهم مدعوون إلى الشركة (١: ٩؛ رج ٢ كو ٦: ١٤؛ ٨: ٤؛ ٩: ١٣؛ ١٣: ١٣) مع يسوع المسيح الربّ، مشدِّدًا على أنّ الشركة مع الربّ تتمّ من خلال الاشتراك في دمه وجسده. الشركة في الوليمة هي شركة في موت المسيح الذي مات من أجل الضعفاء في الجماعة (٨: ١١).

على إثر العشاء الأخير، صارت العبارة، "جسد المسيح"، تعبيرًا مسيحيًّا مميَّزًا، من حيث أنّه يجمع ويخلق شركة. ترقى كلمات الربّ، "هذا هو جسدي"، إلى الرسل القدّيسين (١ كو ١١: ٢٣ي، وما يوازيها في الأناجيل)، وبفضلهم انتشرت في كلّ الكنائس.

"للوليمة الإفخارستيّة طابع **ذبيحة**: ليس الاشتراك في جسد الربّ[١٦] ودمه اشتراكًا روحيًّا في يسوع المُمَجَّد فحسب، بل في ذبيحة الربّ على الصليب وموته أيضًا"[١٧]. الخبز الذي يُذكَر، كالكأس التي يتم تقاسمها، هو اشتراك في موت المسيح.

إنّ الفكرة القائلة بأنّ الإفخارستيّا تعني بذات الفعل وجود جماعة، هي معروفة جيّداً لدى قُرَّاء بولس، لذلك هو يتوجّه إلى قناعاتهم الراسخة في هذا المجال. مع ذلك، كونه يتوجّه إليهم بصيغة الاستفهام، فهذا يترك انطباعًا بأن هناك حاجة لرباط بين قناعة قائمة، وبين وجهٍ جديد نابع من هذه القناعة. تساعد ١ كو ١٠: ١٧ القرّاء على تحقيق هذا الرَّبط. بعد قراءة الرسالة سيتبيّنون أنّ كأس البركة هي شركة في دم المسيح، وأنّ الخبز الذي يُكسر هو شركة في جسده.

في الواقع، ترتبط"الشركةُ" بين المؤمنين بعشاء الربّ، أكثر منه بالعماد، تلك الشركة التي تتضمن فكرتَي المحبّة والوحدة في الكنيسة؛ فالعشاء السرّي هو سرّ الوحدة.

يستعمل بولس مصطلح "**الشركة**"[١٨]، ويُعلِن عن تقاسم الكأس والخبز، مشاركةً في موت المسيح (١ كو ١٠: ١٦؛ رج ١١: ٢٤-٢٥)، إذ يوحي ذِكْرُ "المسيح" بموته وقيامته. كانت كلمة "شركة" وما يتّصل بها مستعمَلَة بشكل شائع في الولائم الطقسيّة (رج ٨: ١٠؛ ٩: ١٣؛ ١٠: ٢٠-٢١). على علاقة وطيدة بالفعل "شارك"، وبالاسمَين "شرِكة" و"مشارِك"، هو الفعل "قاسمَ"، والاسمان "مقاسمة" و"مقاسِم" (١ كو ١٠: ١٧، ٢١، ٣٠).

من خلال أكل الخبز وشرب الكأس، يتّحد المسيحيّون في شركة حميمة بالمسيح، لأنّ الإفخارستيّا هي جسده ودمه (١ كو ١١: ٢٧-٣١). من هذه الشركة الإفخارستيّة مع المسيح ينتج اتّحاد حقيقيّ بين كلّ المؤمنين في جسد واحد. يُدخِل العمادُ المسيحيَّ في جسد الربّ القائمِ من الموت؛ الإفخارستيّا التي فيها يتلقّى كلّ مَنْ يتناول جسد المسيح، تقويّ وترسّخ هذه الوحدة. وكما يقول القديس أوغسطينوس:

---

[16] أنظر ١ كو ١٠:١٦-١٧؛ ١١: ٢٣-٢٦؛ مت ٢٦: ٢٦-٢٨؛ مر ١٤: ٢٢-٢٤؛ لو ٢٢: ١٩-٢٢؛ أع ٢: ٤٢.

[1] **إونجليون**، تعليق على آ ١٦، ص ٧٥٧.

[18] Georges PANIKULAM, "*Koinōnia in the New Testament*, p. 17-30; Wilfred SEBOTHOMA, "*Koinōnia* in 1 Cor 10,16: Its Significance for Liturgy and Sacrament", *Questions liturgiques* 70 (1989) 243-250; Id, "*Koinōnia* in 1 Corinthians 10:16", *Neotest* 24 (1990) 63-69.

"الإفخارستيّا هي سرّ وحدة الكنيسة"؛ وعندما نتلقّى الخبز الإفخارستيَّ، نصبح متّحدين بالمسيح الذي يحوّلنا إلى صورته ومثاله، جاعلاً منّا جسده.

يؤكّد بولس هنا أنّ الإفخارستيّا تخلق "شركة". نحن أمام موضوع غنيّ جدًا. فالشركة هي رباط اتصال وتضامن، رباط جماعة، هي انتماء، وتضامن والتزام. مَن كان في "شركة" مع آخرين يصبح متشابهًا معهم، ويشترك في مصيرهم. تلك هي الرُبُط التي تخلقها الإفخارستيّا بين المسيحيّين وبين المسيح. تُوَلِّد الشركةُ التي تُقام بهذه الطريقة إذًا تضامنًا بين جميع الذين يدخلون فيها. في الواقع، تخلق الرُبُط العاموديّة بين مَن يشترك في الوليمة وبين المسيح رُبُطًا أفقيّة بين مختلف الأعضاء.

٥ – "... في دم المسيح... في جسد المسيح"

تخلق الإفخارستيّا إذًا "شركة" ذبائحيّة مختلفة تمامًا عن الشركة الناتجة عن الاشتراك في الذبائح الوثنيّة؛ بالتالي، يخلق القداس بين المسيح وبين خاصّته رباطًا ذبائحيًّا يوازي الرباط الذي يجمع بين الوثنيّين والشياطين ولكن بشكل متعارض.

يقول بولس إنّ الإفخارستيّا هي "شركة في دم المسيح"، و"شركة في جسد المسيح". في هذا الإطار، توحي الكلمتان "دم" و"جسد" بالتأكيد بذبيحة الصليب. إنّه الدم الذي سُفك على الجلجلة، والجسد الذي سُمّر على الصليب. بالنتيجة، الذبيحة التي يتكلّم بولس عليها هي ذبيحة الصليب. لا يجوز للمسيحيّين بالتالي أن يشتركوا في ذبيحة الوثنيّين، لأنّهم يشتركون في ذبيحة صليب المسيح؛ لقد صارت لهم ذبيحتهم، فكيف يشتركون في ذبيحة الوثنيّين ؟ هنا يأتي دور "كأس البركة" و"الخبز الذي يُكسر"، إذ هناك علاقة بين الخبز والخمر، من جهة، وبين دم المسيح وجسده، من جهة ثانية. إذًا، يشترك المسيحيّون في ذبيحة المسيح بواسطة الكأس والخبز.

٦ – نحن الكثيرين جسد واحد"

"بالاشتراك في الخبز الواحد يتحد المسيحيّون بالمسيح، وبعضهم ببعض. فالإفخارستيّا تحقّق وحدة الكنيسة بالمسيح" (١ كو ١٢: ١٢)[١٩].

---

[1] **إونجليون**، تعليق على آ ١٧، ص ٧٥٧.

وبكلمات وجيزة، يَلُمُّ بولس كلّ سرّ الذبيحة المسيحيّة: هناك ذبيحة واحدة، هي ذبيحة الصليب، يشترك المسيحيّون فيها بواسطة الإفخارستيّا التي تضع ذبيحة المسيح بمتناول المسيحيّين، والتي بها يدخل هؤلاء في شركة معه.

هل يجب أن نقرأ أيضًا في ١ كو ١٠: ١٦ عقيدة "الحضور الحقيقيّ"؟ لا يقول بولس: "هذه الكأس هي دم المسيح"، أو "هذا الخبز هو جسد المسيح"، بل يقول: "إنّها شركة في جسد المسيح". يؤكّد هكذا على رباطٍ سريٍّ بين الكأس ودم المسيح، وبين الخبز وجسد المسيح. مَن يشرب من هذه الكأس يشترك في دم المسيح، مثل الذين يشربون من كأس الذبائح الوثنيّة فيشابهون الشياطين. إنّه تأكيد ذو واقعية كبيرة، وليس رمزًا بسيطًا. هناك شيء في الخبز والخمر يسمح بالجمع الحقيقيّ مع الجسد الذي بُذِلَ على الجلجلة ومع الدم المسفوك.

٧ – خبز واحد، جسد واحد

في١ كو ١٠: ١٧، سعى بولس إلى أن يدعم تأكيداته السابقة، فلجأ إلى إيمان الكورنثيّين الذين يُفتَرَض أنّهم يعلمون أنّ الإفخارستيّا تخلق شركة ذبائحيّة، وجماعة ذات طابع ذبائحيّ. لقد قصد أن ينعش معرفةً قد لا تكون ماثلةً أمام أعينهم. كيف يمكن الشكّ في هذه الشركة؟ "بما أنّ الخبز واحد، فنحن كلّنا لا نشكّل سوى جسد واحد، لأنّنا جميعًا نشترك في الخبز الواحد" (آ ١٧). بتعبير آخر، هناك شركة، لأنّنا نصبح جسدًا واحدًا؛ ونصبح جسدًا واحدًا، لأنّه لا يوجد سوى خبز واحد نتناول منه جميعًا!

إنّها عملية إعطاء براهين تربويّة أكثر منها منطقيّة ومجرّدة، وذلك في سبيل إعطاء الكورنثيّين مرجعًا معروفًا بشكل جيّد، ألا وهو الخبز الواحد. مهما بَدَت نقطة الانطلاق هذه غريبة، فإنّها معروفة لدى المسيحيّين الأوائل، وهي بالضبط التي حفظتها الدِيداخيه أيضًا حيث نقرأ:

"كما كان هذا الخبز الذي يُكسَر منتشرًا في الجبال، قد جُمع ليكون واحدًا، إجمع هكذا كنيستك من أقاصي الأراضي في ملكوتك".

ترمز صورة الحبوب، التي تُجمَع وتُصنَع خبزًا واحدًا، إلى تجمّع المسيحيّين. بالنسبة إلى الكورنثيّين، تعبّر الصورة عن حقيقة اتحادهم بعضهم ببعض: إنّهم هذه الكنيسة المجتمعة. ولكن كيف تحقّقت هذه الوحدة؟ بالاجتماع حول العشاء الإفخارستيّ. هناك جُمِعنا كلّنا إلى جسد واحد، جسد المسيح. باشتراك المسيحيّين في الإفخارستيّا، يتبيّنون، بمساعدة صورة الخبز، ما يحصل فيهم: إنّ جسد المسيح، الذي به يتّحدون، يجمعهم في ما بينهم. هكذا نبلغ إلى فكرة الشركة مع المسيح ومعه.

في التعبير، "جسد واحد"، هناك فكرة اجتماع أعضاء عدّة في الوحدة. هذه الفكرة الأساسيّة تأتي من الإفخارستيّا. جسد المسيح هو جسده الطبيعيّ، الذي صُلِب وقام. هناك جسدٌ واحد للمسيح، وقد ذُبحَ لأجلنا، نشترك فيه بواسطة العشاء الإفخارستيّ. من هنا تأتي الشركة بين المسيح وبيننا، وبين بعضنا البعض في المسيح.

٨ – هل يجوز للمسيحيّ أن يشترك في ذبائح الاوثان ؟

ممّا تقدّم يمكننا أن نستنتج أنّ المشاركةَ في مائدة الربّ من خلال الكأس والخبز تولّدُ حالةَ عدمِ توافقٍ جذريٍّ مع المشاركة في مائدة الشياطين، التي هي مشاركة في الولائم الطقسيّة الوثنيّة. قد يكون الوثن لا شيئًا أو عدمًا (٨: ٤؛ ١٠: ١٩)، لكن المشاركة في ممارسة طقسيّة كهذه يمكن أن توصف بأنّها مشاركة في مائدة الشياطين.

يلجأ بولس إلى أسلوب المقارنة والتضادّ، فيضع تناول الكورنثيّين طعامًا يُقَدَّمُ إلى الوثن[٢٠]، في مقابل تناول كهنة إسرائيل طعامًا يُقَدَّمُ ذبيحة. في مقابل الربّ، هناك الشياطين؛ وفي مقابل كأس الربّ، هناك كأسٌ تُقَدَّم إلى الشياطين.

كان المقصود مسألةَ اللحومِ المقدَّمَة في العبادات الوثنيّة. كان بَيْعُ هذه اللحوم في السوق شائعًا، وكان يُؤكَلُ منها أحيانًا دونَ التنبّه إلى ذلك. المعضلة واقعية، والموقف تجاهها مسألة حاسمة: إذا ما نُبّه المسيحيّون إلى لحوم الذبائح الوثنيّة، ومع هذا أكلوا منها، فإنهم يبدون موافقين على الشركة فيها بالرغم من أنّهم مسيحيّون. أمّا شراء لحوم الذبائح أو أكلها دون معرفة، أو دون الانتباه إلى الأمر، فلا أهمّيّة له، لأن الموضوع ليس اللحم بحدّ ذاته، بل نبذ الوثنيّة أو قبولها.

يفترض هذا التفكير مبدأً أساسيًّا، وهو أنه لا تجوز المشاركة في الذبائح الوثنيّة[٢١]، وهذه مسألة حاسمة. بالتأكيد، الآلهة لا توجد، واللحم الذي يُقدّم إليها لا يتغيّر ولا يمكنه أن يؤذي. لكن الذبيحة الوثنيّة بحد ذاتها، هي عبادة ضالّة وفساد مُدَبَّر من قبل الشياطين، تجعل المؤمن إذا مارسها يقترف الشرّ، لأنّه يدخل في شركة مع الشياطين، وبالتالي يضحي شريكًا في الكذب، والكذبُ بالذات هو شيطانيّ:

"إذً فماذا نقول؟ أذبيحة الوثن شيء؟ أم الوثن شيء؟ كلاّ! لأنّ ما تذبحه الأمم فللشياطين لا لله تذبحه! لكنّي لا أريد أن تصيروا شركاء الشياطين!" (١ كو ١٠: ١٩–٢٠).

---

[20] Joop F. M. SMIT, « „Do Not Be Idolaters". Paul's Rhetoric in First Corinthians 10: 1-22", *NovT* 39 (1997) 40-53.

[21] باسمة الخوري، "المسيح وذبائح الأوثان"، **مجلة بيبليا** ٣ (١٩٩٩) ١١–١٣.

تهيئ معضلة الذبائح الوثنيّة إذًا الفرصة لاستخراج مبدأ يدعوه بولس "غيرة الربّ" (١٠: ٢٢). يريد المسيح كلّ شيء: إمّا كل التقدمة، أو لا شيء! مَن يدخل في شركة مع المسيح لن يعود باستطاعته أن يسعى إلى إقامة رُبُط مع غيره. نجد هنا من جديد صدى موضوع الغيرة الزوجيّة أو حصريّة الرباط الزوجيّ بين المسيح والكنيسة: "لا أريد أن تصيروا شركاء الشياطين!" (١٠: ٢٠-٢١). فلأنّ الذبيحة تخلق رباطًا، وشركة، ومشاركة، فإنّها لا تتماشى مع الانتماء إلى المسيح.

عند بلوغه إلى هذه النقطة من المُحاجّة، أخذ بولس فورًا الرباط مع الإفخارستيّا. هذه هي العلامة التي تبيّن بالتأكيد المطلق أنّه لا يمكن قبول الشركة مع ذبائح الوثن، وخدمة يسوع المسيح في آن معًا.

في الواقع، تتضمّن خدمة يسوع المسيح بالذات شركة ذبيحية، شركة في الإفخارستيّا. من أجل إبراز قيمة عدم التوافق بين المسيح وذبائح الوثن، يكفي التفكير بأنّ المسيحيّ يشترك في الوليمة السريّة. هذه الأخيرة هي رباط سرّي وانتماء. لا يمكن الانتماء أن يكون إلى الله، وفي الوقت عينه إلى الشياطين.

هكذا توصّل بولس إلى أن يُورد العشاء الإفخارستيّ وإلى أن يبرزه من منظار رباط الاشتراك الذي يخلقه هذا العشاء. تقيم الإفخارستيّا رباطَ جماعة، انتماء يمكن مقارنته مع الانتماء الذي تتطلبه الذبائح. لكن، أكثر من مقارنة، نحن في الحقيقة أمام تعارض؛ فكما تقيم الإفخارستيّا تضامنًا في الخير، هكذا تقيم ذبائح الوثن تضامنًا في الشرّ.

هذا هو إذًا موضوع الآيتين ١٦ و١٧ في ١ كو ١٠: إبراز قيمة الجماعة النموذجيّة، والانتماء الذي يولّده العشاء الإفخارستيّ.

خاتمة

في العشاء الإفخارستيّ، يدلّ الخبز الذي نتقاسمه على سرّ وَحدة، واجتماع في المسيح. في الحقيقة، بالخبز الواحد، في الإفخارستيّا، نشترك كلّنا في جسد المسيح الواحد، فتتحقّق الوحدة بين المسيحيّين وبين جسد المسيح الذي صُلب لأجلهم عن طريق الذبيحة. بكأس الخمر وبالخبز الذي نكسر تحصل الشركة في جسد المسيح ودم ذبيحته[٢٢]. هذه الذبيحة هي حقيقيّة، وتوجب نبذ الاشتراك في أية ذبيحة أخرى، والاتحاد بالمسيح وبالقريب.

---

[22] بولس الفغالي، "مشاركة في الجسد والدم (١ قور ١٠: ١٤-١٧)"، في كتابه: **مع كنيسة كورنتوس** (القراءة الربّيّة، ١٤؛ الرابطة الكتابيّة، لبنان ٢٠٠٣) ١٤٠-١٤٤.